



العلم ثلاث ..

07 برنامج آية وحديث

الأردن

2022-09-19

عمان

محاضرة في الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

السعي إلى العلم:

وبعد؛ أيها الأكارم: كلنا يسعى إلى العلم، العلم ضد الجهل، وما أحد يحب أن يكون جاهلاً، الإنسان يسأل حتى يتعلم، والله تعالى قال:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

[سورة النحل]

وأثبت الحاجة إلى السؤال في كتابه في آيات كثيرة:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْتَفْتُونَكَ... (176)



العلم حقيقة مقطوع بصحتها

فإنسان يسأل ليتعلم، ما العلم؟ العلم حقيقة مقطوع بصحتها، تطابق الواقع، عليها دليل، لو لم يكن مقطوعاً بصحتها لكانت وهمًا، أو شكًا، أو ظنًا، أو غلبة ظن، الوهم ثلاثون بالمئة مثلاً، قد يكون الأمر كذا، أتوهم أنه كذا، ثلاثون بالمئة، الشك يستوي فيه الطرفان، ربما نعم وربما لا، خمسون بالمئة، الظن فوق الشك، ستون، سبعون بالمئة، غلبة الظن قد تصل إلى تسعين بالمئة، لكن العلم حقيقة مقطوع بصحتها، المعادن تتمدد بالحرارة هذا علم، لأن هذه الحقيقة أصبحت واقعاً، يطابق الواقع، وعليه أدلة، وليس دليلاً واحداً، أما أحياناً الإنسان يقول لك: هذا علم هو بعد ذلك ينظر، هذا الأمر قيد البحث والدراسة في الطب، في العلوم الأخرى، في الفيزياء، في أي مجال، تطابق الواقع عليها دليل، لأنها إن لم تطابق الواقع كانت جهلاً، عنده معلومات، والواقع يشهد بخلافها، معناها ليست معلومات صحيحة أصلاً، فهي ليست علماً، عليها دليل لأنها إن لم يكن عليها دليل فهي تقليد.

لو قال لك إنسان: أنا عالم بالتكييف، قلت له: ما شاء الله ! أين درست التكييف؟ قال: والله ما درست، لكن قبل أن أنام أمسك الريموت كنترول أضغط الزر فيأتي الهواء البارد، وأستمع به، إذا أنت لا يوجد عندك أي دليل بالتكييف ولا أي معلومة، أنت منتفع فقط، لكن أنت لست عالماً.

العقيدة لا تؤخذ تقليداً بل تؤخذ علماً:

التوحيد علم، ربنا عز وجل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاعِلْمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)

لأنه لو قال: قل! لكان تقليداً، ولكان كل أصحاب الضلالات لهم حجة عند الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)

لكان كل إنسان ضال في الأرض قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (23)

[سورة الزخرف]



العقيدة تؤخذ علماً

إلا العقيدة، العقيدة لا تؤخذ تقليداً، تؤخذ علماً، فالعلم حقيقة مقطوع بصحتها، تطابق الواقع، عليها دليل، لو لم يُقطع بصحتها فهي وهم، أو شك، أو ظن، أو غلبة ظن، لو لم تطابق الواقع لكانت جهلاً، لو لم يكن عليها دليل لكانت تقليداً، والتقليد ليس علماً مع أنك قد تنتفع به، إنسان عمل سكة حديد، ترك فواصل فيها لأنه سمع أن المعادن تتمدد بالحرارة، نجا، الآن سألته: لماذا تركت فواصل؟ قال: رأيت أحدهم يفعل ذلك ففعلت مثله، نجوت.

التقليد في السلوك بنجيك، لكنه ليس علماً، أما لو أن إنساناً ما احترم العلم سيقاب بالعلم نفسه، لو قال قائل: أنا لن أعبأ بالقانون المعادن تتمدد بالحرارة، وبنى بناء وما جعل فواصل تمدد سينهار البناء، فالتقليد قد يفيدك، لكنه ليس علماً قوياً تحتاج به.

لذلك نحن اليوم مع شبانيا، مع الجيل القادم بحاجة إلى العلم وليس مجرد التقليد، لعل جداتنا وأجدادنا كان عندهم علم توحيد عظيم جداً، لكن لا يوجد عندهم تفاصيل النقاش، ونجوا به، وربما إيمانهم أفضل من إيماننا، قالوا لعجوز: أتعلمين من هذا؟ قالت: من هذا؟ قالوا: هذا عنده ألف دليل على وجود الله، قالت: والله لو لم يكن عنده ألف شك لما احتاج إلى ألف دليل، فسمعها فقال: اللهم ارزقنا إيماناً كإيمان العجائز، لكن العصر اليوم فيه شهوات وفيه شبهات كثيرة، لذلك لا بد من تعميق العلم أكثر على كل حال، فالعلم حقيقة مقطوعة بصحتها، تطابق الواقع، عليها دليل.

تقسيمات العلم:



ربط العلوم كلها بالله

إن تقسيمات العلم كثيرة؛ كل يقسم العلم حسب وجهة النظر التي ينظر منها إلى العلوم، في الشرع أعظم تقسيم هو تقسيم الإمام الغزالي، قال: العلم علم به، وعلمٌ بأمره، وعلمٌ بخلقه، علمٌ به جلّ جلاله، وعلمٌ بأمره، افعل ولا تفعل، وعلمٌ بخلقه، ربط العلوم كلها بالله، وهذا فعلاً من فقه الإمام الغزالي، ما دام الله تعالى هو الخالق جلّ جلاله إذا أي علم سيتصل به بأي باب من الأبواب، فالذي يتعلم الفيزياء هو يتعلم خلق الله، والذي يتعلم فقه العبادات يتعلم أمر الله، والذي يقوم في الليل يتعرف إلى الله، فالنتيجة أي علم تتعلمه هو متصل به جلّ جلاله، فقال: علمٌ به، وعلمٌ بأمره، وعلمٌ بخلقه، العلم به أشرف العلوم وأصل العلوم، ولا تنفك علم إلا بعد العلم بالله، لو بلغ الإنسان في علوم الشريعة أعظم منصب في الأرض، المفتي العام مثلاً، المناصب الدينية كثيرة، هذا بعلم الشريعة، لن ينفعه علمه بالشريعة إذا لم يكن عنده علم بالله، ستجده في أقرب فرصة يفتي ليرضي الأقوياء، يفتي ليرضي الأغنياء، ستجده في أقرب فرصة يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ستجده في أقرب فرصة يستغني عن دينه جُبناً أو خوفاً، لأنه لا يوجد علم بالله، ومهما تعلم الإنسان من علوم الخليقة لو صار الطبيب الأول بجراحة القلب بالعالم، وما عنده علم بالله فإنه يستطيع في الدنيا أن يمارس عمله، وأن يصبح له اسم لامع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَصَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَصَاءُ رَبِّكَ مَخْطُورًا (20)

[سورة الإسراء]

لكنه سيخسر خسراً ميبناً يوم القيامة، فالعلم به جلّ جلاله أصل كل علم، وهو أشرف العلوم، وهو النجاة، ولن ينجو إنسان إلا بالعلم بالله، وأما العلم بأمره فهو سبيل النجاة والفوز في الآخرة، إذا تعلم وتعرف إلى الله لكنه لا يعرف ماذا يريد منه الله، افعل ولا تفعل، لم ينج، أي لم يعلم مثلاً أن الصلاة فرض، لم ينج، فالعلم بأمره مهم جداً لتسلك الطريق، أي العلم بالله عرفك بالخالق، كيف أصل إليه؟ العلم بأمره، فهما متكاملان. وسأنتي إلى العلم بخلقه، يحتاج إلى تفصيل.

أحكام العلوم السابقة في الشريعة:

الآن ما أحكام هذه العلوم في الشريعة؟ العلم به؛ واجب عيني على كل مسلم مكلف، واجب عيني، أي لا يمكن لإنسان أن يترك هذا العلم، وقد يقول قائل: ما دليلك على أن العلم به علم؟ اسمعوا إلى قوله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)

[سورة الزمر]



أصل العلوم العلم به

الله تعالى في هذه الآية سمّى الإنسان الذي يقوم في الليل (ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) خوفاً وطمعاً، رغباً ورهباً، سميها عالماً، قال: هذا عالم، تقول لي: والله هذا ما أخذ أي شهادة في العلوم الشرعية، لا يوجد عنده معلومات هو قد يكون أمياً في علوم الخلق، لكنه عالم بنص الآية، لأنه (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) وصل لأصل العلوم، أنا هنا لا أهون أبداً من العلوم الأخرى، وسأتكلم على ضرورتها بعد قليل، أتحدث عن أصل العلوم، أشرف العلوم، أقدس العلوم، العلم الواجب الذي لا ينجو إنسان دونه، أن يتعرف إلى خالقه، أصل العلوم العلم به، والأمة ما تراجعت، وما قصرت في تطبيق دينها، وما تراجعت حتى في دنياها إلا من تقصير في العلم به جلّ جلاله، اليوم أسأل ملياراً ومئتي مليون مسلم في الأرض: الكذب حرام أم حلال؟ حرام، قولاً واحداً، هل هناك إنسان يقول الكذب حلال؟ لماذا كثير من المسلمين يكذبون إذا ما دامت المعلومة موجودة؟ نقص في العلم به، لا يعرف الأمر، يعرف الأمر لكنه لا يعرف الأمر، في اللقاء الماضي عندما تحدثنا عن بقرة بني إسرائيل قلنا إن الله بدأ الكلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

[سورة البقرة]



العلم بالله يحجزك عن محارم الله

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) لو سمعوا الكلام **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ)** لبادروا إلى التنفيذ فوراً ، لكنهم ما انتبهوا إلى الأمر، لذلك كان الصحابة يقولون: لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت، فالعلم بالله هو العلم الذي يحجزك عن محارم الله، بمعلومات قليلة بالعلم بأمره تستقيم بها على أمر الله، ومعلومات كثيرة دون العلم به تنقلت منها، اليوم مجمل المسلمين يعلمون أن الربا حرام وكثير منهم يرايون، مجمل المسلمين يعلمون أننا مأمورون بغض البصر وأكثرهم يطلقون البصر، معظم المسلمين يعلمون أن الغش حرام ويغشون المسلمين أنفسهم وقد يصلي الواحد منهم في الصف الأول في المسجد، إذا أين المشكلة؟ الخلل في أن هؤلاء عرفوا الأمر لكنهم لم يعرفوا الأمر.

وتنصرف مثلاً على هذا دائماً على هذا الأمر من واقع بعض بلادنا، أن أحداً قد تأتبه ورقة صغيرة، مكتوب عليها: تعال يوم الثلاثاء الساعة الثامنة صباحاً هناك رسالة استلمها بالبريد المسجل، هذا الرجل قد يأتي وقد لا يأتي، يقول لك: أنا لي صديق بالبرازيل هذا إلى الآن متعلم على الرسالة بالبريد المسجل، يجب أن يبعث لي التهنية بالعيد برسالة بريدية، إلى الآن لم يتعلم على الإيميل، لن أنزل، والآن الدنيا رمضان، وأريد أن أنزل، وأنا صائم ، أذهب لأحضر الرسالة وتكون في النهاية: كل عام وأنتم بخير، لا يوجد غيره، كل سنة ببعثها، ما اهتم بالأمر، لأن الموقع هو مدير البريد، رسالة بالحجم نفسه بالمعلومات نفسها: تعال الساعة الثامنة صباح يوم الثلاثاء عندك مراجعة لـ... والتوقيع مدير الـ.... لا ينام الليل، قيل أيام، ماذا يريدون مني؟ لعلي تكلمت كلمة غير مناسبة، لعلي يوم كنت بالمكان الفلاني أحدهم صورني وأرسل الصورة، لعل، لعل، لعل، يحسب مئة حساب، ما الذي اختلف بالأمر؟ الأمر واحد، إنه الأمر.



العلم بالله يحتاج إلى صلة بالله عز وجل

إذا العلم بالله، من هو الله؟ الخالق، البارئ، المصور، الذي خلقنا، الذي أعطانا، الودود، الرحيم، الغفور، أسماؤه الحسنى، أن تقف في الليل فتناجيه، أن تقرأ القرآن الكريم، أن الآن حرقته ما هي؟ يقول لك: أنا طبيب، هناك أحكام في الطب دقيقة جداً يجب أن تتعلمها، أنت تحديدًا، أنا ليس عليّ أن أتعلّمها، أنا لست طبيباً، لكن أنت يجب أن تتعلمها، كيف تتعامل مع المريضة، هناك بعض الأطباء لا ينتبه إلى أنه يجب أن ينظر فقط إلى المكان الذي يحل النظر إليه للضرورة، لا يجب أن تتكشف المرأة أمامه، على سبيل المثال، لا يعلم بعض أحكام الطب إن كان مثلاً بالنسائية، أطفال الأنابيب، ما أحكامها، ما المستحبات الفقهية، متى يحل نقل الأعضاء، حسب اختصاصه يجب أن يتعلم ولا أخطأ، التاجر إذا دخل السوق ولم يتفقه أكل الربا شاء أم أبى، التاجر عنده أحكام البيوع ويشتري، يجب أن يعرف ألا يكون هناك غش بالبيع، فكل إنسان يجب عليه أن يتعلم ما يخص مهنته، الآن هذا الوجوب، باقي العلوم، والله يوجد أحكام السياسة الشرعية، الحدود، القصاص، ما درسها، يندب أن يدرسها، لأن هذا علم شريف جداً، علم الشريعة، لكن لا يأثم لو تركها لأنه لا يحتاجها، إذا احتاج شيئاً منها سأل عنها أهل الذكر، لكن العبادات أتقنها، والأحكام المتعلقة بحرفته أتقنها، الباقي على التنب، إذا تعلمها أجز، وإذا ترك تعليمها لم يأثم، هذا العلم بأمره.



كل إنسان يجب عليه أن يتعلم ما يخص مهنته

الآن حرقته ما هي؟ يقول لك: أنا طبيب، هناك أحكام في الطب دقيقة جداً يجب أن تتعلمها، أنت تحديدًا، أنا ليس عليّ أن أتعلّمها، أنا لست طبيباً، لكن أنت يجب أن تتعلمها، كيف تتعامل مع المريضة، هناك بعض الأطباء لا ينتبه إلى أنه يجب أن ينظر فقط إلى المكان الذي يحل النظر إليه للضرورة، لا يجب أن تتكشف المرأة أمامه، على سبيل المثال، لا يعلم بعض أحكام الطب إن كان مثلاً بالنسائية، أطفال الأنابيب، ما أحكامها، ما المستحبات الفقهية، متى يحل نقل الأعضاء، حسب اختصاصه يجب أن يتعلم ولا أخطأ، التاجر إذا دخل السوق ولم يتفقه أكل الربا شاء أم أبى، التاجر عنده أحكام البيوع ويشتري، يجب أن يعرف ألا يكون هناك غش بالبيع، فكل إنسان يجب عليه أن يتعلم ما يخص مهنته، الآن هذا الوجوب، باقي العلوم، والله يوجد أحكام السياسة الشرعية، الحدود، القصاص، ما درسها، يندب أن يدرسها، لأن هذا علم شريف جداً، علم الشريعة، لكن لا يأثم لو تركها لأنه لا يحتاجها، إذا احتاج شيئاً منها سأل عنها أهل الذكر، لكن العبادات أتقنها، والأحكام المتعلقة بحرفته أتقنها، الباقي على التنب، إذا تعلمها أجز، وإذا ترك تعليمها لم يأثم، هذا العلم بأمره.

العلم به يحتاج إلى المجاهدة، قالوا: جاهد تشاهد، أي جاهد نفسك وهواك تشاهد من خيرات الله ما تشاهد، ومن فضل الله، جاهد تشاهد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

[سورة النحل]

أي قيام الليل يحتاج إلى جهاد، أداء الصلوات في جماعة يحتاج إلى جهاد، الصلاة النوم باكراً، صلاة الفجر تحتاج إلى مجاهدة، هذا يحتاج إلى جهاد النفس والهوى، أن يحمل الإنسان نفسه على طاعة الله حملاً، لأن النفس لا تطوع الإنسان دائماً.

لا تصدق أنهما ينصحيان؛ النفس والشيطان، هم ينصحاك لراحة جسدك لكن ليس لسعادة أحرارك ودينائك.

فالأصل في العلم به هو المجاهدة، وليس المدارس، العلم بأمره يحتاج إلى مدرسة، أي أحكام العبادات، يفتح الكتاب، أو يحضر درس علم، يحفظ شروط الصلاة، أركان الصلاة، ما معنى الشرط، ما معنى الركن، مصلح شك بالثالثة أم بالرابعة، أي ركعة هو؟ ماذا يفعل؟ سجود السهو كيف؟ يبنى على الأقل، ثم يسجد السهو، مثلاً.

إذا جاء رمضان الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، إذا أخطأ ماذا يترتب عليه، إذا نسي ماذا يترتب عليه، الإبرة تفطر أم لا تفطر، إلى آخره، هذه معلومات فقهية تحتاج إلى مدارس، كتاب، فقيه يعلمك، سؤال تسأله، هذه مدارس، نقوم بهذا الفعل بشكل يومي، السلام عليكم شيخنا: في بيع هذا، والله لا يجوز هذا ربا، حسناً نحن لا نريده، مثلاً يحتاج إلى مدرسة، سؤال وجواب، لكن لا يطبق، الإنسان لا يطبق الأمر إلا إذا كان يعرف الأمر، لذلك بدأنا بالعلم بالله.

أنواع العلم بخلقه:



العلم الجائر هو الذي أجازه العلم بأمره

أما العلم بخلقه فهو نوعان، ابتداءً، جائز ومحرم، الجائر هو الذي أجازه العلم بأمره، نرجع إلى العلم بأمره نسأل الشرع، جاءنا شخص قال: أريد أن أحضر دكتوراه في الفيزياء يجوز؟ لا نقول واجب أو غير واجب، يجوز، لا يوجد مانع، يوجد معمل يصنع خموراً يعمل دورة، يعلمنا كيف نخمر العنب، لا يجوز، هذا علم بخلقه لكن هذا العلم حرام، هناك امرأة قالت: يوجد علم خاص للرقص مع الموسيقى الهادئة، لا يجوز، فانتبه، فالعلم بخلقه منه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم، نسأل عن ذلك من خلال العلم بأمر الله.

الآن الجائر منه تكتنفه الأحكام الفقهية، فقد يكون فرضاً، وقد يكون مندوباً، الجائر منه، كيف فرض؟ هل هناك علم بخلقه فرض؟ نعم، إذا كنا في بلد نعيش فيها وهناك اختصاص بالطب غير موجود، فصار هناك فرض كفاية على الأمة أن تعلم أحد أبنائها هذا الاختصاص الطبي حتى تعالج المرضى، فإذا فعلوا أنبيوا جميعاً، وإذا تركوا أثموا جميعاً، الأمة إذا لم تتم نفسها بالاختصاصات الطبية، الهندسية، إلى آخره ما تحتاجه الأمة، إذا كان هناك نقص يجب أن يسعى الجميع في ذلك، فكل إنسان يقوم بدوره يصبح هذا العلم واجب التعلم لأن الأمة بحاجة، وقد قصر الناس فيه، أما إذا كان موجوداً، والله يوجد بالبلد أو في القرية التي نحن فيها يوجد عشرة أطباء، الآن يندب أن يتعلم الإنسان العلم، أو يباح له أن يتعلمه، لكن إذا تركه لا يأثم، ولا يائمه أحد.

العلم بالله تعالى أعظم العلوم:

هذا مخطط العلوم كما صنفها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، علم به، وهو أشرف العلوم، وأقدسها، وخيرها، وأساس النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وعلم بأمره وهو أصل للنجاة بين يدي الله تعالى، افعل ولا تفعل، المنهج التفصيلي الذي ينبغي أن يتعلمه الإنسان العبادات.

الشباب يريد أن يتزوج، يجب أن يعلم أحكام الزواج، حتى لا يظلم أو لا يظلم، حقوقه وواجباته، ماذا لزوجه عليه، وماذا له عليها، حتى لا يطلب شيئاً ليس له، أو يظلمها في شيء هو لها، مثلاً تزوج وهو قد فهم أنه بالزواج يملك زوجته وما تملك، ليس صحيحاً، ذمتها المالية مستقلة عنك، تزوج واعتقد أنه وإياها يتفقان على البيت معاً، نصف بنصف، غير صحيح، هي تفق استحباباً، أنت المكلف، إن أنفقت على العين والرأس، إن تركت لا تستطيع أن تجبرها، تزوج وهو لا يعلم أن للمرأة الحق في التصرف بمالها، مالها الخاص، لها ورثة من أهلها أرادت أن تهدي منها لأحد، لا أسمح لك أن تعطى أحداً، مالي، هذه نماذج، عندما لا يتعلم الإنسان العلوم المتعلقة بالزواج مشكلة.

الآن دخل بعالم العمل يجب أن يتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بعمله، هذا العلم بأمره.

والعلم بخلقه يعرض على العلم بأمره، فإن وافق الشرع قمنا به، وإن خالف الشرع تركناه.

التوحيد نهاية العلم:



ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد

في محصلة الأمر أعظم العلوم العلم بالله تعالى، وأعظم ما يكون في العلم بالله تعالى أن توحده، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، لذلك: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه دخل الجنة، لأنه تعلم أعظم علم وهو التوحيد، التوحيد حقيقته لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله، أي لا يعطي، ولا يمنع، ولا يخفض، ولا يرفع، ولا يعز، ولا يذل إلا الله جلّ جلاله، فالإنسان الذي تعلم هذه المعلومة الآن بلغ نهاية العلم، لذلك منتهى العلم، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

[سورة الأنبياء]

ما معنى (مِنْ رَسُولٍ)؟ هذه من لاستغراق أفراد النوع، أي نحن اليوم أستاذ دخل إلى الصف، قال: كل طالب له هدية مني، وزع الهدايا، هم ثلاثون طالباً، يوجد طالبان غائبان ليس لهما هدية، أعطى الهدايا للطلاب الموجودين، لكن لو أنه دخل وقال: ما من طالب مسجل في هذه الشعبة إلا وله هدية، فقد أدخل الغائبين، استغرق الأفراد جميعاً. فلما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ) أي كل الرسل الذين أرسلوا إلى قومهم سواء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)

[سورة الأنبياء]

(إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) لأن التوحيد نهاية العلم، والعبادة هي نهاية العمل، أي الإنسان إذا تعلم الفيزياء النووية وما وصل للتوحيد فهو جاهل، وإذا وصل للتوحيد وهو لا يحسن القراءة والكتابة فهو عالم، وإذا لم يصل للتوحيد وهو يحمل أعلى شهادة في علوم الشريعة فهو جاهل، علوم الشريعة، لكن ما وصل للتوحيد جهل. لذلك (إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) الإنسان يعلم معلومات كثيرة بحياته، أعظم علم يتعلمه هو التوحيد، (فَاعْبُدُونِ) هو السلوك، العلم بأمره. العلم به، والعلم بأمره (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) التوحيد (فَاعْبُدُونِ) العمل، الإنسان أعظم عمل يعمل به عبادة الله، ولو كان في نزهة مع أهله كما اتفقنا سابقاً، ولو كان في عمله الذي يحترف منه فهو في عبادة، لأنه يبتغي وجه الله، ولا يأتي شيئاً يخالف منهج الله بهذا المفهوم العام للعبادة، أعظم عمل يعمل به الإنسان أن يعبد حياته وفق منهج الله، وأعظم علم يتعلمه الإنسان أن يعلم أنه لا إله إلا الله، فإذا وصل إلى (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) فقد حقق ما جاء به الأنبياء جميعاً من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم جاؤوا بالتوحيد والعبادة (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ).

والحمد لله رب العالمين